

العلاقات المباشرة وغير المباشرة التي تؤثر على خصائص الانسان الفكرية وبنية الجسدية .
ويشير ديدرو الى أن الكلاسيكيين بنظرتهم الصوفية الى تركة العصور القديمة
يصبحون ممتي العواطف عاجزين عن فهم القوانين الكامنة في الطبيعة .
ويعد ديدرو الفن نشاطا معرفياً مماثلاً للمعرفة العلمية فيقول :

« ان أسس الجمال في الفن هي نفس أسس الحقيقة في الفلسفة . ماهي الحقيقة ؟ انها
تطابق محاكماتنا العقلية مع ابداع الطبيعة . وما الجمال المقلد؟ انه تطابق الصورة الفنية مع
الشيء المصور ذاته » . ويقول أيضا على لسان بطله أحد مؤلفاته : (... أنا أعرف ان
مايسرنا ويؤثر فينا هو الحقيقة وحدها . وأعرف أيضا ان كمال المسرحية في دقة تجسيدها
للاواقع وان المشاهد اذ يتابع الصورة الوهمية يتخيل أنه يشاهد الواقع ذاته) .

ان هذه الآراء تشير الى تأكيد ديدرو على المطابقة بين الظاهرة وانعكاسها في الفن
مطابقة تكاد تكون كاملة . ولكن المنور الفرنسي الكبير يطرح ، الى جانب تلك الأفكار
آراء مناقضة لها تمام المناقضة . يقول ديدرو : (لايجوز أن نقلد الطبيعة تقليدا قريبا جداً من
الواقع هناك حدود يجب أن نقف عندها) . ويقول أيضا :

(فكروا فيما يسمونه المسرح الصادق ، هل يعني أن يسلك الانسان في المسرحية
سلوكه في الحياة ؟ كلا أبدا . فالصدق اذا فهمناه على هذا الشكل ، ينقلب الى تهاة . ما
الصدق الفني في المسرح اذن ؟ انه انسجام العمل والقول والوجه والصوت والارشادات مع
المثل الاعلى الذي تجسده الشخصية التي أبداعها خيال الشاعر وزادها الممثل عظمة .) .

هل هذا تناقض ناجم عن عدم تماسك الافكار ؟ كلا مطلقا . انه تناقض تتصف به
نظرة المنورين عموما الى الفن . ان المنورين يميلون الى الدقة في التقليد عندما يصورون
البرجوازي الاتاني تصويرا واقعيا . ولكنهم يقعون في مجال أخلاقي وتجريدي جاف عندما
يحاولون تصوير ذلك البرجوازي نفسه رمزا للفضيلة والبطولات . ان ديدرو ككل المنورين ،
يسعى الى ايجاد التوازن بين الواقع والمثل الأعلى ، ولكنه يميل في نهاية المطاف الى المثل الأعلى
وهذا ما يظهر واضحا في نظريته حول « النمذجة » . فالنمذجة ، في رأي ديدرو تم عن
طريق ابعاد الصفات الفردية وتثبيت جانب واحد من جوانب الشخصية . ونتيجة لهذا التجريد
يصبح النموذج الفني تعبيرا مجردا عن كل عاطفة أو عيب أو صفة من صفات الشخصية الانسانية .
وهكذا يعود ديدرو الى الطريقة التي أتى بها الكلاسيكيون طريقة التجريد المنطقي في « النمذجة » .